ترجمة

كلمة الأستاذة الدكتورة

أمبيرتو فيرونسي

الفائزة بجائزة الملك فيصل العالمية

للطب (بالاشتراك) عام 1423 هـ/2003 م

السبت 1423/01/05 هـ الموافق 2003/03/08م

خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز

ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء

وزير الدفاع والطيران والمفتش العام

أصحاب السمو الأمراء،

أصحاب الفضيلة والمعالي والسعادة،

إنّني فخور جداً باختياري أحد الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية للطب لعام 2003 م. فهذه الجائزة معروفة على نطاق العالم بأنها واحدة من أعظم الجوائز وأكثرها تميزاً، كما أنّها دليل بيّن على مساهمة العالم العربي في التقدّم العلمي والطبّي، وتعبير حقيقي عن مدى إدراك المسلمين والعرب لأهمية تسخير العلوم لمنفعة الإنسانية.

إنّ العلماء الغربيين يدركون تماماً دور الحضارة العربية والإسلاميّة في تطوّر العلوم ونشأة الطب بمفهومه الحديث. فقد جاءت مساهمات العرب العظيمة في زمن كان يعرف في أوروبا بالعصور المظلمة، ففي تلك العصور التي شهدت انحطاط أوروبا بعد تفكك الإمبراطورية الرومانية، حافظ العلماء العرب على المؤلفات القديمة وترجموها وطوّروا العلوم الطبية وصقلوها، وحقّقوا إنجازات عظيمة في الكيمياء والصيدلة والرياضيات. وإلى جانب ما تميّز به أولئك العلماء من حكمة وتفانٍ في المحافظة على المعارف الطبيّة الإغريقية القديمة، لقد أبدعوا في تطوير تلك المعارف

وأضافوا إليها الكثير. إنّ مساهمة العلماء العرب مثلاً في علم النفس والأمراض النفسيّة – رغم أن تلك المسميّات لم تكن معروفة وقتئذٍ – كانت رائعةً بحق.

إن أسماء العديدين من الشخصيات العظيمة التي ساهمت في العلوم والطب في زمن الحضارة الإسلامية معروفة لدى العلماء الغربيين وإن كانت هذه الأسماء قد تعرضت للتحوير و"التغريب". فنحن مدينون للرازي مثلاً لأنّه أوّل من قدّم وصفاً علمياً دقيقاً للجدري والحصبة، كما نعرف أبا القاسم الذي كتب أوّل كتابٍ في الجراحة، وهذا الكتاب – بالمناسبة – يحتوي على وصفٍ دقيق لأكثرَ من مئة من أدوات الجراحة. ثمّ هناك بالطبع ابن سيناء أو كما يسمونه في الغرب "أفيسينا" الذي كان أعظم طبيبٍ مسلمٍ في ذلك الزمان. لقد ظل كتابة الشهير (القانون في الطب) ظلّ المرجع الأساسي للطب في أوروبا طوال الفترة الممتدة من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر الملادي . ونعرف كذلك ابن رشد أو "أفيروس" فكتابه (الكليات) كان أعظم موسوعة طبية خلال القرن الثاني عشر الميلادي.

إنّ الرسالة الأساسية التي يجب أن يحملها المجتمع العلمي العالمي هي نشر حب المعرفة وتقديرها وخصوصا العلوم الطبيّة، فمن أجل مكافحة الأمراض بنجاح لابدّ للإنسانيّة من نبذ المظاهر السلبيّة واللامبالاة وإلغاء الآخرين وكلّ ما من شأنه أن يولّد الخوف والجهل ويزعزع الثقة في قدرة الإنسان على التغلب على المعاناة والمرض باستخدام الوسائل العلميّة. ولن يتحقق ذلك إلا بالتجرّد العلمي والبحث عن الحقيقة وتبادل المعرفة في حرية تامة.

إنّ من أبرز الأمثلة على أهميّة البحث العلمي هو ما حدث من تطور في علاج العديد من أنواع السرطان، وخصوصاً سرطان الثدي الذي يعدّ أكثر أنواع السرطان انتشاراً وخطورة لدى النساء، وهو مرض تزداد نسبة الإصابة به عاماً بعد عام في العالم. ففي العشرين عاماً الماضية حقق البحث الطبّي تقدماً مهماً في علاج هذا المرض. ومن أمثلة ذلك التقدم أنّ سرطان الثدي أصبح يُشخّص على نحو مطرد في مراحله المبكّرة. وحينما يتم تشخيصه مبكراً يصبح علاجه ممكناً في نسبة عالية من الحالات. ليس ذلك فحسب، فالآن يمكننا تجنّب الكثير من التشوّه والمضاعفات الناجمة عن إزالة الثدي بأكمله، وبالتالي، يمكن للنساء بعد علاجهن الكامل من هذا المرض التمتع بحياة أفضل.

إنّ فوزي بجائزة الملك فيصل هو فى حقيقته تقدير لما تحقّق من تقدمٍ في الحفاظ على سلامة أبدان النساء المصابات بسرطان الثدي، وهو اعتراف بما تم تطويره من وسائل جراحيّة تحفظية بدلاً عن البتر الكامل الذي مازال مستخدماً في علاج العديد من الأمراض السرطانية الأخرى.

إنّ جائزة الملك فيصل من الجوائز التي تُشجّع روح الإبتكار وحريّة الفكر العلمي والإبداع؛ ومثل هذا التشجيع المثمر يساهم بشكل ايجابيٍّ كبير في تخفيف معاناة الناس، فالبحث العلمي أساسي لتقدّم المجتمع العالمي، ودعم الاعتبارات الأخلاقيّة، مما يعبّر أعظم تعبيرعن إمكانات الفكر الإنساني.

إن المجتمع العلمي يقوم بالدور الأساسي في إيجاد مجتمع إنساني متعدد الثقافات. فالعلماء من مختلف أنحاء العالم ومختلف الثقافات، يعملون سوياً في هذه اللحظة من أجل تحسين حياة الإنسان في جميع أنحاء العالم، بصرف النظر عن الاختلافات الثقافيّة أو السياسيّة بين الشعوب وبصرف النظر عن العرق أو المذهب. إنّ جائزة الملك فيصل اسهام بالغ الأثر على المستوى العالمي، ولها أهمية خاصة في هذا الوقت العصيب الذي يشهد توتراً عالمياً خطيراً. كما أنّ هذه الجائزة تدلّ بوضوح على أنّ العلم قادرٌ على مدّ الجسور وتحقيق التواصل بين مختلف الشعوب والثقافات مما يساهم في تخفيف التوتر السياسي ويعزّز السعي المستمر نحو ما يحقّق تقدم الانسانيّة ورفاهية الإنسان.